# المنهج البلاغي
# وأثره في تدبر القرآن

**إعداد**

**د. عويض بن حمود العطوي**

**أستاذ البلاغة المشارك،قسم اللغة العربية، كلية التربية والآداب، جامعة تبوك**

**ووكيل الجامعة**

# ملخص البحث

## المنهج البلاغي وأثره في تدبر القرآن

**د. عويض بن حمود العطوي**
**أستاذ البلاغة المشارك، بقسم اللغة العربية، بكلية التربية والآداب، بجامعة تبوك**
**وكيل الجامعة للفروع**

يهدف هذا البحث إلى بيان أهمية علم البلاغة، ومدى ارتباطه بالقرآن الكريم من خلال : منشأ العلم، والتفسير، والتحدي، والإعجاز، والتدبر، كما يسعى لاقتراح منهج بلاغي يساعد على تدبر القرآن وفهم معانيه، وقد أسفر هذا البحث عن **النتائج والتوصيات** الآتية:

١- أن علم البلاغة علم مهم، يتجدد بوجود النص الرفيع ؛ لذا لا بد من العناية به.

٢- أن أعظم أهداف علم البلاغة الكشف عن إعجاز القرآن البياني.

٣- أن علاقة البلاغة بالقرآن علاقة وثيقة، تبدأ بمنشئها وتتوثق به من خلال التفسير والتحدي والإعجاز والتدبر.

٤- أن الإعجاز البياني في القرآن من صور الإعجاز المجمع عليها التي ينبغي إبرازها للمتلقي .

٥- أن مما حصل به التحدي في القرآن الإتيان بمثله في بلاغته وحُسن نظمه.

٦- أن علم البلاغة من أهم العلوم للمُفسِّر.

٧- أن التفسير المعتمد على البلاغة أوقع في النفوس وأكثر تأثيراً في القلوب، وأعظم في إظهار شأن النص القرآني.

٨- أن تدبر القرآن يفضي الكشف عن إعجازه البياني الذي يدل على أنه من عند الله ؛ لذلك خوطب به غير المسلمين.

٩- أن البلاغة هي الأداة الأقوى للتدبر المنهجي.

١٠- اقتراح منهج تدبري فردي مستفاد من علوم البلاغة، يعتني بالأسرار والدلالات لا بالحدود والتقسيمات والمصطلحات.

**التوصيات:**

١- ضرورة العناية بالبلاغة التطبيقية في البحوث والمؤلفات ودروس التفسير.

٢- العناية بتدريس البلاغة خارج الجامعات والمدارس لإحياء هذا العلم المهم في الأمة.

## مقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله أما بعد:

فهذه مشاركة في المؤتمر الدولي الأول للتدبر المقام في الدوحة في الفترة من ٢٣-٢٦/٨/١٤٣٤هـ ، وذلك تحت المحور الثالث، وهي بعنوان:

## المنهج البلاغي وأثره في تدبر القرآن

ويهدف هذا البحث إلى بيان أهمية علم البلاغة، ومدى ارتباطه بالقرآن الكريم من خلال : منشأ العلم، والتفسير، والتحدي، والإعجاز، والتدبر، كما يسعى لاقتراح منهج بلاغي يساعد على تدبر القرآن وفهم معانيه.

### أهمية الموضوع:

ترجع أهمية هذا الموضوع إلى ما يأتي:

- اتصاله بالقرآن الكريم.
- اتساقه مع الهدف الذي نزل من أجله هذا الكتاب العظيم، وهو التدبر.
- استثمار العلوم الخادمة ومنها البلاغة في الكشف عن شيء من أسرار القرآن الكريم، وبيان إعجازه.
- تقديم منهج عملي سهل يمكن التعامل من خلاله مع النص القرآن لفهم معانيه.

### أسباب اختياره:

- علاقته الوثيقة بالنص القرآني عموماً وبالتدبر خصوصاً.
- اهتمام الباحث بالدلالات القرآنية والبحث فيها.
- استثمار البلاغة في خدمة القرآن على نطاق أوسع من التخصص الدقيق.

### الدراسات السابقة:

حسب ما توصل إليه الباحث توجد بعض البحوث والدراسات والاهتمامات التي دارت حول هذا الموضوع ومنها:

١ – بحث: البلاغة والتفسير: مقدمة منهجية، للدكتور عبد الجليل هنوش.

٢ – بحث: آليات منهجية في استثمار الدرس البلاغي لتحليل النص القرآني، للدكتور محمد إقبال عروي.

٣ – بحث: فعالية البلاغة في التفسير، للدكتور عبد الله بنرقية.

وهذه الأبحاث كانت ضمن أوراق قُدّمت لندوة"بلاغة النص القرآني"[١] التي نظّمها مركز الدراسات القرآنية بالرابطة المحمدية للعلماء بالتعاون مع شعبة الدراسات الإسلامية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالمحمدية في ٢٥-٢٦ جمادى الأولى ١٤٣٣هـ

---

(١) ملخص أوراق الندوة على موقع مركز الدراسات الإسلامية:

http://www.alquran.ma/Article.aspx?C=5624

، وكانت محاورها كالآتي:

- المحور الأول: بلاغة النص القرآني عند المفسرين: المجال والتوظيف.
- المحور الثاني: البلاغة القرآنية والتفسير: مداخل منهجية.
- المحور الثالث: أثر الدرس البلاغي في فهم القرآن الكريم وتدبره.

والمحور الثالث –كما لا يخفى- وثيق الصلة بما نحن بصدده.

وقد اطلعت على ملخصات أبحاث هذه الندوة، وتواصلت مع الجهة المنظمة لأجل الحصول على الأبحاث، وأفادت بأن الأوراق الكاملة تحت الطبع، وكان من أهم توصيات الندوة ما يلي:

- ضرورة العناية البالغة والمستدامة باللغة العربية وعلومها من حيث كونها وعاءً للقرآن الكريم وعلومه، ولارتباطها الوثيق بكتاب الله من حيث الفهم والاستمداد.
- إعادة صياغة مقررات علوم البلاغة ، وخصوصا بلاغة النص القرآني واستثمارها في الدرس الجامعي.
- الاهتمام بالدرس البلاغي في ارتباطه بالدراسات التفسيرية والدراسات القرآنية.

٤ – بحث: الإعجاز في التناسب بين الآيات والسور وأثره في تدبر القرآن، د. أحمد الفريح، بحث مقدم للمؤتمر الثالث ( العلوم الإسلامية وقضايا الإعجاز في القرآن والسنة بين التراث والمعاصرة– في الفترة من ١٤–١٦/٢/١٤٢٨هـ– كلية العلوم بجامعة المنيا).

وقد ركّز فيه الباحث على التناسب، وأثره في التدبر، وجُل أبحاث التناسب ومجالاته ترجع إلى البلاغة.

وبناء على ما سبق فإن هذا البحث يؤكد ما سبق من دراسات وتوصيات، و سيعتني -على وجه التحديد- بعلاقة البلاغة بالقرآن، وأثرها في فهْمه وتدبّره، مع تقديم منهج مقترح لذلك.

وقد اقتضت المصلحة بناء البحث على مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة، على النحو التالي:

**المقدمة:** وفيها، أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، ، وخطة البحث.

**المبحث الأول: أهمية علم البلاغة.**

**المبحث الثاني: علاقة البلاغة بالقرآن.**

**المبحث الثالث: كيفية استثمار البلاغة في فهم القرآن وتدبره.**

**الخاتمة**، وفيها النتائج والتوصيات.

**المبحث الأول: أهمية علم البلاغة.**

لا يشك أحد أن علوم اللغة كلها من الأدوات المهمة لفهْم كلام الله –تعالى- ، فالمعاجم تكشف معاني الكلمات، والصرف يبحث بنية الكلمة، والنحو يبين صحة الكلام، ويوضّح علاقة الكلمات ببعضها، والبلاغة تستثمر ذلك كله لتكشف عن إعجاز القرآن البياني، يقول ابن عاشور: "إن القرآن كلام عربي، فكانت قواعد العربية طريقاً لفهم معانيه، وبدون ذلك يقع الغلط وسوء الفهم، لمن ليس بعربي بالسليقة، ونعني بقواعد العربية مجموع علوم اللسان العربي، وهي: متن اللغة ، والتصريف ، والنحو ، والمعاني ، والبيان، ومن وراء ذلك استعمال العرب المتبع من أساليبهم في خطبهم وأشعارهم وتراكيب بلغائهم"[١].

والبلاغة هي أوسع تلك العلوم في هذا المجال ؛ لأنها علم يهتم "بمعنى المادة في الكلمة المفردة، وبمعنى صيغتها، وبالمعاني التي تنشأ من حركات تركيب الكلمات ومواقع الكلمات في الجمل، وبالمعاني التي تتأثر دلالة ألفاظها بالسياق، وبكيفية دلالتها من حقيقة ومجاز وكناية وتعريض، وتنظيم للكلام على ما يقتضيه العقل، وبأثر أصوات الحروف في نفس السامع، وبالجملة فعلم البلاغة يهتم بكل ما يُبْلِغ به المتكلم قلب السامع بالمعنى المراد إقناعاً وتأثراً، بحيث يوافق ما تقتضيه حال المخاطب ؛ ولذلك عُرِّف بأنه: مطابقة الكلام الفصيح لمقتضى الحال"[٢].

وقد نشأ علم البلاغة في أحضان النصوص الرفيعة، وهدفه الكشف عن جماليات النص، وإبراز مدلولاته، وذلك من خلال أدوات محددة، ومنهج واضح ؛ لهذا لا تكاد تجد مبحثاً في البلاغة إلا ويعتني بإبراز الأسرار البلاغية للنص المستشهد به، وإذا كان هذا النص من القرآن فلنا أن نتخيل قدر الدقة في إبراز المعاني القرآنية، من خلال أدوات البلاغة المعروفة.

وعلى هذا يمكننا القول : إن تحليل النصوص القرآنية من خلال الأدوات البلاغية يعد تطبيقاً واقعياً لاستثمار البلاغة في خدمة النص القرآن بشكل عام، والتدبر بوجه خاص.

يتحدث الجصاص عن لطائف الدلالات والمعاني في قوله تعالى: (فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ) [البقرة: ١٧٩] ثم يقول بعدها: "فهذا وأشباهه مما يظهر به للمتأمل إبانة القرآن في جهة البلاغة والإعجاز من كلام البشر؛ إذ ليس يوجد في كلام الفصحاء من جمع المعاني الكثيرة في الألفاظ اليسيرة مثل ما يوجد في كلام الله تعالى"[٣]، وهذا يدل على أن ما استُخرج من معاني ودلالات كان من صميم بلاغة القرآن، وأن السبيل إليه هو التأمل فيه من خلال البلاغة نفسها، فالبلاغة أداة وهدف، فاستخدام أدوات البلاغة للكشف عن المعاني هو الأداة، واستخراج المعاني

---

(١) التحرير والتنوير، للطاهر ابن عاشور ١/ ١٨.

(٢) أثر علم البلاغة في تفسير القرآن الكريم، د . محمود أحمد الزين (مقال في موقع)
http://www.dhifaaf.com/vb/showthread.php?t=6103

(٣) أحكام القرآن، للجصاص، تحقيق : محمد الصادق قمحاوي ١/ ٩٧.

والأسرار هو الهدف.
ولما كان من أهم الأهداف التي يسعى إليها كل من يهتم بالقرآن هو غرْس قيمة تعظيم هذا الكتاب في النفوس، وتسهيل فهمه ومعرفة مقاصده، كانت البلاغة من أقدر العلوم على ذلك ؛ لذلك تجد من يتلقى درس التفسير الممزوج بلطائف البلاغة ونوادرها ودلالاتها؛ يتشوّق إلى معرفة المزيد عن كتاب ربه، كما أن تعظيم هذا الكتاب يزداد في قلبه؛ لأنه يزداد يقينًا كل لحظة أنه من عظيم سبحانه.
كما أن تربية الذوق بتلمس جميل المعاني والدلالات عند المتلقي هو من أهداف البلاغة، وله أثره الإيجابي على التعامل مع النص القرآني دراسة ومدارسة.
وهناك جانب آخر هو الأسرار البلاغية لكل مبحث بلاغي، فهي تُبرز في البلاغة الهدف الحقيقي لهذا العلم، فليست التقسيمات هي الهدف، وليس حفظ المصطلحات هو المراد، بل المراد هو السر، والمعنى، والدلالة، وبناء على ذلك فلا ينبغي ألا يكون هدف المفسّر المستثمر للبلاغة هو تلك النكت والطرائف فحسب، بل يجب أن تكون البلاغة أداة لخدمة معاني القرآن العظيمة، وتأكيدها والإقناع بها، فإن قول المفسّر "نستفيد من هذه الآية كذا وكذا" لا يكون مقنعاً ما لم يدعمه بدليل لفظي وسياقي يتضح به المعنى، وتنجلي به الصورة.
ومن خلال التجربة العملية نجد اهتمامًا كبيرًا من خاصة الناس وعامتهم بهذا اللون من التفسير؛ رغم عدم إدراكهم لأسرار علم البلاغة وتقسيماتها، وليس المهم هو التعمّق في المصطلحات، بل المهم هو تسخير هذا الفن بذكاء لخدمة المعنى القرآني، وجعله مؤثرًا في القلوب.
وما "تقدم كله عبارة عن شذرات من أثر علم البلاغة في فهم القرآن الكريم تدعو إلى معرفة المزيد من أمثالها، وإلى الاهتمام بهذا العلم علم البلاغة عند دراسة القرآن الكريم لفهمه على وجهه الحق، وكشف أسرار البيان فيه، ومن فوت ذلك العلم على نفسه فقد تباعد عن فهم القرآن والصواب فيه"[1].

## المبحث الثاني: علاقة البلاغة بالقرآن.

علاقة البلاغة بالقرآن لا تحتاج إلى برهان، ويمكننا بيان ذلك من خلال ما يأتي:
منشأ علم البلاغة، والتفسير، والإعجاز، والتحدي، والتدبر.

### منشأ علم البلاغة:

يؤكد تاريخ هذا العلم أنه نشأ أول ما نشأ لهدفين رئيسين، ديني وفني: وكان الهدف الديني هو الأهم: وتمثل في الدفاع عن القرآن، والسعي لبيان أوجه الإعجاز البياني فيه، كما تمثل في

---

(١) أثر علم البلاغة في تفسير القرآن الكريم ، د . محمود أحمد الزين (مقال في موقع)
http://www.dhifaaf.com/vb/showthread.php?t=6103

الحاجة لفهم معانيه وأسراره خصوصاً بعد فشو اللحن وضعف السليقة العربية[1].

ولهذا تخصصت كتب كاملة لخدمة غرض الإعجاز مثل: النكت في إعجاز القرآن للرماني، وإعجاز القرآن للباقلاني وغيرها، كما ظهرت كتب اعتنت بالمعاني وأساليب القرآن، مثل: مجاز القرآن لأبي عبيدة، و تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة، ثم ظهرت كتب لخدمة تفسير القرآن من خلال التطبيق الواسع لألوان البلاغة، وعلى رأسها تفسير الكشّاف للزمخشري الذي سارت به الركبان، بغضِّ النظر عن منهجه.

ومن التفاسير المتأخرة التي لا يستغني عنها باحث لا في البلاغة ولا في التفسير، تفسير التحرير والتنوير للعلامة الطاهر ابن عاشور، الذي نص على اهتمامه بقضايا البلاغة، فقال: "وقد اهتممت في تفسيري هذا ببيان وجوه الإعجاز، ونكت البلاغة العربية، وأساليب الاستعمال، واهتممت أيضاً ببيان تناسب اتصال الآي بعضها ببعض"[2].

وليس بغريب أن تنشأ البلاغة وتنمو في أحضان المحيط القرآني، وأن تكون من أوائل علوم الآلة التي ارتبطت بالقرآن؛ ذلك لأن البيان القرآني هو المعجزة الأظهر في أمة العرب، بوصفهم سادة البيان وأرباب الفصاحة، وبيان أوجه ذلك البيان وعظم تأثيره مهمة قامت بها البلاغة خير قيام.

---

(١) انظر: البيان العربي، د. بدوي طبانة (دار المنارة، جدة، دار الرفاعي، الرياض، ط٧، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م) ص ٢٧.

(٢) التحرير والتنوير ١/ ٨.

**التفسير:**

لا ينفك المفسر عن حاجته لعلوم اللغة عموماً، بل هي شرط مهم فيه، وقد قال ابن عباس - رضي الله عنهما- : "إذا تعاجم شيء من القرآن فانظروا في الشعر، فإن الشعر عربيّ"(١)، ولا يمكن لجاهل بلغة العرب أن يفهم المراد كما ينبغي، أو يمتلك القدرة على إيضاح المعنى من النص القرآن، بل ذلك سيوقعه في الخطأ، وقد عظّم أهل العلم هذا الأمر حتى قيل: "من لم يكن عالما بلغات العرب لا يحل له التفسير كما قاله مجاهد، ويُنكّل كما قاله مالك، وهذا مما لا شبهة فيه ..."(٢)، وقد أشار بعض المفسرين إلى ترتيب علوم العربية التي يحتاجها المفسر، يقول الألوسي: "فأما ما يحتاجه التفسير فأمور: الأول، علم اللغة؛ لأن به يعرف شرح مفردات الألفاظ ومعلولاتها بحسب الوضع، ولا يكفي اليسير ؛ إذ قد يكون اللفظ مشتركا وهو يعلم أحد المعنيين والمراد الآخر، ... الثاني معرفة الأحكام التي للكلم العربية من جهة أفرادها وتركيبها ويؤخذ ذلك من علم النحو، ...الثالث علم المعاني والبيان والبديع ... وهو الركن الأقوم واللازم الأعظم في هذا الشأن كما لا يخفى ذلك على من ذاق طعم العلوم ولو بطرف اللسان"(٣).

وكأن الألوسي يشير هنا إلى أنواع علوم العربية بحسب غرض المفسر، وأشاد كما لا يخفى بعلم البلاغة إشادة واضحة.

والأصل في التفسير هو كشف المعاني من خلال إيضاح مدلول ما غمض من الألفاظ، وذلك هو مدلول فَسَر في اللغة، حيث يقول ابن فارس:"الفاء والسين والراء كلمة واحدة تدلُّ على بيانِ شيءٍ وإيضاحِه، من ذلك الفَسْرُ، يقال: فَسَرْتُ الشَّيءَ وفسَّرتُه"(٤)، ويقول ابن عاشور:"والتفسير في الاصطلاح نقول: هو اسم للعلم الباحث عن بيان معاني ألفاظ القرآن وما يستفاد منها باختصار أو توسع"(٥).

والمعين للمفسر في هذه المرحلة هو المعجم، وما أُثر عن العرب، أما عند التعمق في المعاني وبيان الأسرار والدلالات اللطيفة فلا بد من علم البلاغة، وهذا هو اللائق بعظمة القرآن وإعجازه.

ولهذا لا تكاد تجد مفسراً إلا ويشيد بعلم البلاغة على وجه الخصوص، إمّا لكون القرآن هو ميدانها الأرحب، وتطبيقها الأكمل، كما يقول ابن كثير: "وأما القرآن فجميعه فصيح في غاية نهايات البلاغة عند من يعرف ذلك تفصيلاً وإجمالاً، ممن فهم كلام العرب وتصاريف التعبير، فإنه إن تأمّلت أخباره وجدتها في غاية الحلاوة، سواء كانت مبسوطة أو وجيزة، وسواء تكررت

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر ١٨/ ٦٩٠.

(٢) روح المعاني، للألوسي ١/ ٥.

(٣) روح المعاني ١/ ٥.

(٤) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السَّلام محمد هَارُون مادة (ف س ر) ٤/ ٥٠٤.

(٥) التحرير والتنوير ١/ ١١.

أم لا وكلما تكرر حلا وعلا لا يَخْلَق عن كثرة الرد، ولا يملُّ منه العلماء"(١).

وإمّا لكون علم التفسير لا يستغني عنه مفسر، يقول الزمخشري عن شأن التفسير: " ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق، إلا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن، وهما: علم المعاني وعلم البيان، وتمهل في ارتيادهما آونة، وتعب في التنقير عنهما أزمنة، وبعثته على تتبع مظانهما همة في معرفة لطائف حجة الله وحرص على استيضاح معجزة رسول الله"(٢)، ويذكر أبو حيان أن مما ينبغي للمفسر معرفته : "كون اللفظ أو التركيب أحسن وأفصح ، ويؤخذ ذلك من علم البيان والبديع" (٣).

وإذا كان الجاهل بلغة العرب لا يحل له التفسير أو يُنكّل به على ما سبق، فقد يكون للبلاغة في ذلك النصيب الأعظم؛ لأنه لا يصير إليها إلا من ألمّ بما قبلها من علوم العربية، وفي هذا يقول السكاكي متوعداً :"وفيما ذكرنا ما ينبه على أن الواقف على تمام مراد الحكيم تعالى وتقدس من كلامه، مفتقر إلى هذين العلمين [المعاني والبيان] كل الافتقار، فالويل كل الويل لمن تعاطى التفسير وهو فيهما راجل"(٤).

ويقول السيوطي :"وهذه العلوم الثلاثة هي علوم البلاغة وهي من أعظم أركان المفسر ؛ لأنه لا بد له من مراعاة ما يقتضيه الإعجاز وإنما يدرك بهذه العلوم"(٥).

وغير خافٍ أن من يتناول التفسير متسلّحاً بأدوات هذا الفن يقع له من المعاني ولطيف الدلالات مالا يقع لغيره، وقد نبّه على ذلك السكاكي فقال بعد كلام مطول في تحليل عميق لآية: وقيل يا أرض ابلعي ماءك :"ولله در شأن التنزيل لا يتأمل العالم آية من آياته إلا أدرك لطائف لا تسع الحصر ولا تظنن الآية مقصورة على ما ذكرت، فلعل ما تركت أكثر مما ذكرت؛ لأن المقصود لم يكن إلا مجرد الإرشاد لكيفية اجتناء ثمرات علمي المعاني والبيان، وأن لا علم في باب التفسير بعد علم الأصول أقرأ منهما على المرء لمراد الله –تعالى- من كلامه، ولا أعون على تعاطي تأويل مشتبهاته، ولا أنفع في درك لطائف نكته وأسراره ولا أكشف للقناع عن وجه إعجازه هو الذي يوفي كلام رب العزة من البلاغة حقه ويصون له في مظان التأويل ماءه ورونقه"(٦).

ويقول الزركشي في مدح هذا الفن :"ولو لم يحبب الفصاحة إلا قول الله تعالى {الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ} لكفى والمعلومات كثيرة ، ومنن الله –تعالى- جمة ، ولم يخصص الله من نعمه على العبد إلا تعليم البيان وقال تعالى: {هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ} وقال تعالى:

---

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة ١/ ٢٠٠.

(٢) الكشاف، للزمخشري، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرين ٩٦/١.

(٣) تفسير البحر المحيط، لأبي حيان، تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود وآخرين (دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت ، ١٤٢٢هـ ، ٢٠٠١م) ١/ ١٠٧.

(٤) مفتاح العلوم، للسكاكي، تحقيق: نعيم زرزور ١٦٢.

(٥) الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي٦/٢٢٩٥.

(٦) مفتاح العلوم ٤٢١.

{تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ} ولحذف الواو في قوله تعالى: {عَلَّمَهُ الْبَيَانَ} نكتة علمية فإنه جعل تعليم البيان في وزان خلقه وكالبدل من قوله: {خَلَقَ الإِنْسَانَ} لأنه حي ناطق وكأنه إلى نحوه أشار أهل المنطق بقولهم في حد الإنسان : حيوان ناطق، ولا شك أن هذه الصناعة تفيد قوة الإفهام على ما يريد الإنسان ويراد منه ؛ ليتمكن بها من اتباع التصديق به وإذعان النفس له، وينبغي الاعتناء بما يمكن إحصاؤه من المعاني التي تكلم فيها البليغ مثبتا ونافيا"(١)، كما لا يخفى ذكْر البيان والقرآن في سياق واحد، وكلاهما ذُكر معه التعليم، مما يشير إلى ارتباطهما وإلى شأن التعليم فيهما.

يقول ابن عاشور:"ولعلمي البيان والمعاني مزيد اختصاص بعلم التفسير؛ لأنهما وسيلة لإظهار خصائص البلاغة القرآنية، وما تشتمل عليه الآيات من تفاصيل المعاني وإظهار وجه الإعجاز؛ ولذلك كان هذان العلمان يسميان في القديم علم دلائل الإعجاز"(٢).

وخلص الدكتور عبد الجليل هنوش إلى"أن استئناف النظر في بلاغة النص القرآني من شأنها أن تغني علمي البلاغة والتفسير معا، فأسرار التفسير وأسرار البلاغة مستمدان من معدن واحد، ومجتمعان على أصل واحد"(٣).

لذلك كان لزاماً أن تحضر البلاغة دومًا في بيان معاني هذا الكتاب العظيم، وذلك من خلال دروس التفسير، والكلمات والمحاضرات، حتى يتربى الذوق، ويشعر المتلقّي بعظمة هذا الكتاب العزيز.

وبهذا ندرك أن العناية بالبلاغة في تفسير القرآن ليست ترفاً علمياً، بل هو أمر من الأهمية بمكان كبير، وقد شدد ابن عاشور على ذلك وأشار إلى "أن مفسر القرآن لا يُعدّ تفسيره لمعاني القرآن بالغاً حد الكمال في غرضه ما لم يكن مشتملا على بيان دقائق من وجوه البلاغة في آيِهِ المفسّرة، بمقدار ما تسمو إليه الهمة من تطويل واختصار، فالمفسر بحاجة إلى بيان ما في آي القرآن من طرق الاستعمال العربي وخصائص بلاغته وما فاقت به آي القرآن في ذلك ...لئلا يكون المفسر حين يعرض عن ذلك بمنزلة المترجم لا بمنزلة المفسر.

فمن أعجب ما نراه خلو معظم التفاسير عن الاهتمام بالوصول إلى هذا الغرض الأسمى إلا عيون التفاسير ..."(٤).

**الإعجاز:**

وأما الإعجاز؛ فقد أُفردت له كتب كما ذكرنا، وكان الإعجاز البياني من أهم ما عُنيت به؛ وذلك لأن معجزة نبينا محمد ﷺ هي القرآن، كما جاء في الحديث ، قال رسول الله ﷺ :"ما من

---

(١) البرهان في علوم القرآن، للزركشي، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ١/ ٣١٢.

(٢) التحرير والتنوير ١/ ١٨.

(٣) البلاغة والتفسير: مقدمة منهجية، د. عبد الجليل هنوش (ندوة النص القرآني) ملخص الأوراق على موقع مركز الدراسات القرآنية http://www.alquran.ma/Article.aspx?C=5624

(٤) التحرير والتنوير ١/ ١٠٢.

نبي من الأنبياء إلا أُعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة" رواه البخاري ومسلم[1]، فكان لابد من معرفة وجه هذه المعجزة لإظهاره وإبرازه.

ومهما تعددت الأقوال فإن القول بأن بلاغة القرآن هي أحد أهم صور إعجازه مما لا يكاد يختلف فيه أحد، ولا ينازع فيه منازع، يقول الزركشي عن الإعجاز: "وهو علم جليل عظيم القدر؛ لأن نبوة النبي ﷺ معجزتها الباقية القرآن، وهو يوجب الاهتمام بمعرفة الإعجاز، ... قال تعالى: ﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ التوبة: ٦ فلولا أن سماعه إياه حجة عليه لم يقف أمره على سماعه، ولا تكون حجة إلا وهي معجزة، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحۡمَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٥١﴾ العنكبوت: ٥١ فأخبر بأن الكتاب آية من آياته، وأنه كافٍ في الدلالة، قائم مقام معجزات غيره، وآيات سواه من الأنبياء، ولما جاء به ﷺ إليهم وكانوا أفصح الفصحاء ومصاقع الخطباء تحداهم على أن يأتوا بمثله، وأمهلهم طول السنين فلم يقدروا"[2].

وقد أشار إلى هذا المعنى جُلّ المفسِّرين،كقول أبي حيان: "ولما كان الغالب على زمان عيسى الطب أراهم الله المعجزة في جنس علمهم، كما أرى قوم موسى ؛ إذ كان الغالب عليهم السحر، المعجزة بالعصا واليد البيضاء، وكما أرى العرب ؛ إذ كان الغالب عليهم البلاغة، المعجزة بالقرآن"[3].

لذا فإن أقدر العلوم على كشف هذا الإعجاز هو البلاغة، يقول السكاكي: "اعلم أن شأن الإعجاز عجيب يدرك ولا يمكن وصفه، كاستقامة الوزن يدرك ولا يمكن وصفها وكالملاحة، ومدرك الإعجاز عندي هو الذوق ليس إلا، وطريق اكتساب الذوق طول خدمة هذين العلمين"[4] أي البيان والمعاني.

ولعل من أهم وظائف علم البلاغة اليوم خدمة الإعجاز البياني في القرآن، لاسيما بعدما تغيّرت السليقة العربية، التي كانت تعرف ذلك دون تعليم أو تنظير، كما إن إظهار هذا الإعجاز مهم في مخاطبة غير المسلمين على مر العصور، وفي عصرنا هذا خصوصاً، الذي ظهر فيه الاهتمام بالإعجاز العلمي، وأما الإعجاز البياني فلا نكاد نجد له ذكراً في ترجمات معاني القرآن، والكتب التي يُخاطب بها غير المسلمين.

ومن هنا تظهر العلاقة الوثيقة بين الإعجاز وعلم البلاغة؛ إذ لا يُعقل أن يتعلق الإعجاز بمجرد بيان غوامض المعاني والألفاظ، وقد ذكر أبو هلال العسكري:" أنّ أحقّ العلوم بالتعّلم، وأولاها بالتحفّظ بعد المعرفة بالله -جلّ ثناؤه- علم البلاغة، ومعرفة الفصاحة، الذي به يُعرف إعجاز كتاب الله –تعالى- ، الناطق بالحق، الهادي إلى سبيل الرّشد، المدلول به على صدق الرسالة وصحّة النبوة، التي رفعت أعلام الحقّ، وأقامت منار الدّين، وأزالت شبه الكفر

(١) صحيح البخاري، للبخاري، ح (٤٩٨١)، وصحيح مسلم ، ح (١٥٢).

(٢) البرهان في علوم القرآن ٢/ ٩٠.

(٣) البحر المحيط ٢/ ٤٨٩.

(٤) مفتاح العلوم، ٤١٦.

ببراهينها، وهتكت حجب الشّك بيقينها.
وقد علمنا أنّ الإنسان إذا أغفل علم البلاغة، وأخلّ بمعرفة الفصاحة لم يقع علمه بإعجاز القرآن من جهة ما خصّه الله به من حسن التأليف، وبراعة التركيب، وما شحنه به من الإيجاز البديع، والاختصار اللطيف، وضمّنه من الحلاوة، وجلّله من رونق الطّلاوة، مع سهولة كلمه وجزالتها، وعذوبتها وسلاستها، إلى غير ذلك من محاسنه التي عجز الخلق عنها، وتحيّرت عقولهم فيها"[١].

**التحدي:**

ومثل الإعجاز التحدي الذي ورد في القرآن أكثر من مرة، حيث فُسِّر بالبلاغة وحُسن النظم، وقال بذلك جُلّ المفسرين، يقول البيضاوي: "﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [يونس: ٣٨]في البلاغة وحُسن النظم وقوة المعنى، على وجه الافتراء؛ فإنكم مثلي في العربية والفصاحة، وأشد تمرنا في النظم والعبارة"[٢]، وقال أيضاً: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ [الإسراء: ٨٨] في البلاغة وحُسن النظم وكمال المعنى"[٣].

وأورد الرازي عن سلامة القرآن من الاختلاف "أن المراد منه الاختلاف في رتبة الفصاحة، حتى لا يكون في جملته ما يعد في الكلام الركيك، بل بقيت الفصاحة فيه من أوله إلى آخره على نهج واحد، ومن المعلوم أن الإنسان وإن كان في غاية البلاغة ونهاية الفصاحة، فإذا كتب كتاباً طويلاً مشتملاً على المعاني الكبيرة، فلا بد وأن يظهر التفاوت في كلامه بحيث يكون بعضه قويا متينا وبعضه سخيفا نازلا، ولما لم يكن القرآن كذلك علمنا أنه لمعجز من عند الله – تعالى-"[٤] وقال الألوسي عن هذا الكتاب ونفي الريب عنه في أول البقرة: "هو الحقيق بأن يُتحدى به ؛ لكمال نظمه في باب البلاغة، وكماله في نفسه، وفيما هو المقصود منه"[٥].

وهذا كله يعني ضرورة إبراز هذه الميزة في القرآن الكريم ؛ لما لها من أثر في بيان عظمة هذا الكتاب وعلو قدره مما يبني له هيبة في القلوب والنفوس، ولا سبيل إلى ذلك دون علم البلاغة، الذي يعتني بالجانب التطبيقي في تفسير القرآن.

**التدبر:**

التدبر هو بذل الجهد في النظر والتأمل في آيات القرآن ؛ لمعرفة مقاصدها و ما تؤول إليه، وقد جاء ذكره والحض عليه في أربعة مواضع من القرآن هي:

---

(١)كتاب الصناعتين: الكتابة و الشعر، لأبي هلال العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم المقدمة ص ١.

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي،١١٣/٣.

(٣) تفسير البيضاوي ٣/ ٢٦٦.

(٤) مفاتيح الغيب، للفخر الرازي ١٠/ ١٥٧.

(٥) روح المعاني ١/ ١١٠

قوله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢]، وقوله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد: ٢٤]، وقوله تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴾ [المؤمنون: ٦٨]، وقوله تعالى : ﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [ص: ٢٩].

و كما أن التحدي بالقرآن والإتيان بمثله جاء في خطاب الكفار، فكذلك الأمر في التدبر فقد جاءت الآيات كلها في خطاب الكفار والمنافقين، إلا الآية الأخيرة فهي للمؤمنين ويدخل فيه غيرهم.

وواضح من نص هذه الآيات ومن سياقها أن الأمر بالتدبر فيها لغرض إثبات كون هذا القرآن من عند الله ﷻ ، كما أن في ذلك من إفحام الخصم ما لا يخفى، ولا يعني ذلك أن المؤمنين غير معنيين بالتدبر، بل على العكس، "فإذا كان الله قد حضّ الكفار والمنافقين على تدبُّره: عُلم أَنَّ معانِيه ممّا يمكن للكفَّار والمنافقين فهمها ومعرفتها، فكيف لا يكون ذلك ممكناً للمؤمنين"[(١)]، والقرآن كله محل لهذا التدبر ؛ إذ "معلوم أَنَّ نفي الاختلاف عنه لا يكون إلَّا بتدبره كلِّه وإلَّا فتدَبُّرُ بعضِه لا يوجب الحكم بنفي مخالفِه ما لم يتدبَّر لِمَا تَدَبَّرَ"[(٢)].

ومحل التدبر في القرآن، هو بلاغته و نظمه، ومعانيه وأخباره، وفي هذا المجال يذكر الزمخشري أن المعنى في قوله تعالى: ﴿لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ أي: "لكان الكثير منه مختلفاً متناقضاً، قد تفاوت نظمه وبلاغته ومعانيه، فكان بعضه بالغاً حد الإعجاز وبعضه قاصراً عنه يمكن معارضته، وبعضه إخباراً بغيب قد وافق المخبر عنه، وبعضه إخباراً مخالفاً للمخبر عنه، وبعضه دالاً على معنى صحيح عند علماء المعاني، وبعضه دالاً على معنى فاسد غير ملتئم، فلما تجاوب كله، بلاغة معجزة فائتة لقوى البلغاء، وتناصر صحة معانٍ، وصدق أخبار، علم أنه ليس إلا من عند قادر على ما لا يقدر عليه غيره، عالم بما لا يعلمه أحد سواه"[(٣)]، وبمثل هذا قال أبو حيان وغيره[(٤)].

ويُفصّل ابن عاشور في ذلك ويقول: "فمعنى (يتدبَّرون القرآن) يتأمّلون دلالته، وذلك يحتمل معنيين : أحدهما أن يتأمّلوا دلالة تفاصيل آياته على مقاصده التي أرشد إليها المسلمين، أي تدبّر تفاصيله ؛ وثانيهما أن يتأمّلوا دلالة جملة القرآن ببلاغته على أنّه من عند الله ، وأنّ الذي جاء به صادق . وسياق هذه الآيات يرجّح حمل التدبُّر هنا على المعنى الأول ، أي لو تأمّلوا وتدبّروا هدي القرآن لحصل لهم خير عظيم ، ولما بَقُوا على فتنتهم التي هي سبب إضمارهم الكفر مع إظهارهم الإسلام . وكلا المعنيين صالح بحالهم ، إلاّ أنّ المعنى الأول أشدّ ارتباطاً بما حكي عنهم من أحوالهم"[(٥)] .

(١) مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس ابن تيمية، ٥/ ١٥٧.

(٢)مجموع الفتاوى ١٣/ ٣٠٧.

(٣) الكشاف١/ ٥٧١.

(٤) البحر المحيط ٣/ ٣١٨.

(٥) التحرير والتنوير ٥/ ١٣٨

وينتصر صاحب المنار لجانب البلاغة فيذكر "أنّ القاموس الأعظم لإعجاز القرآن اللفظي هو تكرار المعنى الواحد بالعشرات والمئات من العبارات المختلفة في النّظم والأسلوب وبلاغة العبارة وقوّة تأثيرها في قلوب القارئين والسامعين لها، وعدم وقوع الاختلاف بالتّناقض أو التّعارض في شيءٍ منها كما قال : ﴿أفلا يتدبّرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا﴾ وإنّما يظهر هذا الإعجاز بنوعيه في السّور العديدة"(١).

ونخرج من ذلك إلى أن بلاغة القرآن ونظْمه أحد أدله إعجازه وكونه من عند الله، وأن سبيل الكشف عنها هو التدبر في كلام الله، وأداة التدبر هي البلاغة، وبهذا تكون علاقة البلاغة بالتدبر علاقة تأثير وتأثر، فالبلاغة هي أداة التدبر في هذا المجال، والتدبر هو الطريق لمعرفة إعجاز القرآن البلاغي.

والتدبر كما توحي به صيغته يحتاج إلى جهد ومراجعة وصبر، يقول ابن القيم :" وتدبر الكلام أن ينظر في أوله وآخره، ثم يعيد نظره مره بعد مرة؛ ولهذا جاء على بناء التفعّل كالتجرّع والتفهّم و التبيّن"(٢)، فإذا أدركنا الارتباط الواضح بين البلاغة والتدبر، وما يحتاجه التدبر من جهد وصبر، تبيّن كم فرّطنا في هذا الجانب، سواء فيما يتعلق بالمؤمنين أم بغيرهم، فأما ما يخص غير المؤمنين و ما ورد من دعوتهم وحثّهم على التدبر، فيعني أن في هذا الكتاب العظيم من القوة والإعجاز ما يجعل غير المؤمن به ينبهر ببيانه وأخباره وتشريعاته، مما يؤدي إلى تعظيمه في نفوسهم، وتأثيره في عقولهم، فما يلبثون أن يذعنوا له، وربما أعلنوا إسلامهم.

وهذا كثير في صدر النبوة، فكم أسلم من الكفار بسبب سماعهم القرآن وفهْمهم لنصوصه، وهذا يعني ضرورة التدبر في الكتاب العظيم، وإيصال صور إعجازه ومنها البياني إلى أولئك الكفار بلغتهم التي يفهمونها، كما أشرنا إلى ذلك من قبل.

وأما تدبر القرآن للمؤمنين فتبقى البلاغة وسيلة ناجعة لإظهار عظمة هذا الكتاب، والتنبيه على دقائق معانيه ودلالاته، مما يعني تعظيم هذا القرآن في قلوبهم، وصرْف أنظارهم إليه، وهذا ينافي الدعوات التي ترى الاشتغال بهذه الأدوات من الاشتغال بالمفضول عن الفاضل.

وهذا ما يؤكد ضرورة العناية بعلم البلاغة تعلماً وتعليماً وتطبيقاً، واستثمار أدوات هذا العلم في تدبر القرآن، وفهم معانيه.

وبعد استعراض هذه المجالات المتعددة والمتداخلة أحياناً يتضح حضور البلاغة بجلاء في أربعة مجالات كلها مرتبطة بالقرآن هي: التفسير، والتحدي، والإعجاز، والتدبر، وأن البلاغة هي العلم التي يخدم هذه المجالات خدمة مباشرة، بحيث يصعب الاستغناء عنه، وتدبر القرآن يلحق بذلك فتكون المجالات أربعة.

**كما أن استثمار البلاغة فيما سبق ذكره يعود على البلاغة بالنفع العميم ؛ لأنه يجعلها علماً**

---

(١) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) محمد رشيد بن علي رضا، ١٢/ ٢٩.

(٢) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، لابن القيم محمد بن أبي بكر ١/١٨٣.

حياً حاضراً، لا يمكن أن يوصف بجمود أو احتراق.

*المبحث الثالث: كيفية استثمار البلاغة في فهم القرآن وتدبره:*

مما سبق ذكره يتضح لنا العلاقة الوثيقة بين القرآن والبلاغة، سواء من حيث النشأة، أم من حيث الهدف والموضوع، إنها بإيجاز علمٌ خدَم القرآن وخدمَهُ القرآن ؛ ولذلك علينا أن نعيد لهذا العلم مكانته، وأن نوجّهه للنافع المفيد، فليس هناك نص حَري بالدراسة وإظهار ما فيه من الجمال والعظمة مثل القرآن، وليس هناك علم حري بهذه المهمة مثل البلاغة.

وقد يقول قائل: التدبر لا يحتاج إلى البلاغة، فيمكن لغير المختص بها أن يستنبط معانٍ جميلة.

نقول: هذا صحيح، وهو واقع ولا ننكره، لكن يمكننا القول : إن التدبر يمكن تقسيمه إلى تدبر عفوي، وتدبر منهجي، فأما الأول، وهو العفوي؛ فهو ما يجري على ألسنة الناس، عوامهم وخواصّهم، من ذكر معانٍ لطيفة ودلالات جميلة، دون الاعتماد على منهج محدد وآلة معينة، وهذا النوع يقبل منه ما كان له دليل لغوي في النص، أما غيره فلا.

وأما التدبر المنهجي؛ فهو القائم على أدوات محدّدة مدعومة بالدليل من خلال النص، ولا شك أن المعاني اللطيفة والدقيقة التي تُستنبط بأدوات البلاغة تختلف عن الاستنباطات التي تعرض للقارئ، ففرق بين تدبُّر منهجي مبني على استخدام أدوات وله ضوابط، وما يعنُّ للذهن حسب الحال والسياق.

ولهذا يرى الباحث أن التدبر من خلال أدوات البلاغة أكثر عُمقاً وهو أيضاً أكثر انضباطاً؛ لأنه لا يذكر معنى، ولا يقول بدلالة إلا ولذلك دليل لفظي وارد في النص، أما بعض ما يرد عرضاً على الألسنة فإنه وإن كان لطيفاً ومعجِباً في ظاهره، إلا أنك- أحياناً- تبحث عن شيء يؤيده في النص فلا تجد.

وتأسيسًا على ذلك؛ فإن تربية النشء والعامة على تدبر القرآن من خلال منهج صحيح، يحتاج إلى وقت وصبر وجهد، كما يحتاج إلى أدوات تساعد على ذلك، والبلاغة هي الفن الأقدر على القيام بهذه المهمة؛ لأنها تملك الأدوات والمنهج الكافي لكشف المعاني والإقناع بها، وعلى ذلك يكون التدبر من خلالها مبنيًّا على أسس وضوابط.

كما أن الإكثار من عرْض سور القرآن باستخدام المنهج البلاغي من خلال وسائل التعليم والتعلم المتعددة، يُربّي في المتلقي ملَكَة التحليل والسؤال عن أسرار الكلمات وعلاقاتها، وهذا ما يفضي به الوصول إلى معانٍ لم تكن له بالحسبان، ويفتح له آفاقاً من التدبر لم تدر بخلده من قبل.

**مجالات تدبر القرآن:**

مما ينبغي أن نهتم به في هذا الصدد بيان المجالات التي يمكن لقارئ القرآن أن يهتم بها، حتى تبعد النظرة، ويتسع الأفق، ومن تلك المجالات التي يمكن أن يتدبر القارئ لكتاب الله من خلالها، مستخدماً أدوات البلاغة ما يأتي:

١. السورة الكاملة.

٢. الموضوع الواحد في السورة أو في القرآن كله.

٣. آيات محددة.

٤. قصص القرآن.

٥. أمثال القرآن.

٦. أقسام القرآن.

٧. نداءات القرآن.

وتطبيقاً على هذه النصوص من خلال المجالات المذكورة وغيرها، يمكن أن يظهر أثر البلاغة جلياً فيها، حيث يمكن دراسة الكلمة والتركيب والأسلوب والسياق والمناسبة، وغير ذلك مما تهتم به البلاغة.

**المنهج البلاغي المُقترح:**

نظراً لكون الهدف هو تدبر القرآن، وتربية النفوس عليه ، فيرى الباحث أنه ينبغي وضع منهج خاص لذلك مُستقى من علوم البلاغة، يكون متاحاً بين يدي القارئ، يأخذ منه بحسب علمه وقدرته.

وحتى يكون هذا المنهج مناسباً للفئة المعنية -وهم غير المتخصصين في البلاغة- فلا بد من وضع أُطر عامة له وهي:

١. البعد عن المصطلحات، إلا في أضيق الحدود.

٢. العناية بما يبحث في الأسرار والدلالات لا فيما يهتم بالحدود والتقسيمات.

٣. الاستفادة من جهود المفسرين الذين يعتنون بتوظيف البلاغة في التفسير.

٤. أن يكون المنهج مبنيًّا على مستوى الكلمة والتركيب والأسلوب، لا على التقسيم الثلاثي للبلاغة.

٥. الاعتماد على الأسئلة البلاغية، مثل: ما سر ذكر هذه الكلمة؟ ما سبب تقديم هذه اللفظة؟ ما المناسبة بين مطلع السورة ومقطعها؟ لماذا هذا الترتيب في ذكر الأقسام؟ وهكذا.

والباحث في هذا الدراسة يؤكد أن كثيراً من المفسرين قدّموا دليلاً واضحاً على استثمار البلاغة في خدمة المعنى القرآني، واستنبطوا من خلالها معانٍ لطيفة، ودلالات خفية، وإشارات مهمة ؛ وذلك لقوة معرفتهم بهذا العلم وتضلعهم فيه، أما ما تطمح له هذه الدراسة من خلال منهج مقترح فيُراعى فيه ضعف عامة المسلمين في هذا الجانب؛ لذا فهذا المقترح مقدّم لمتوسطي العلم، وغير المتخصصين في البلاغة، وقد راعى فيه الباحث أهم الأدوات البلاغية بعيداً عن التفصيلات والمصطلحات، وكان التركيز فيه على الأسرار والأغراض، كما أنه منهج فردي يتعلم المتدبِّر من خلاله طرق الكشف عن شيء من أسرار القرآن ودلالاته، وبناءً على ما سبق، يمكن اقتراح المنهج الآتي:

**النظر إلى النص القرآني من خلال ما يأتي:**

**أولاً: الكلمة:**

وهنا ينظر المتدبر للكلمة في النص القرآني من جهات أربع هي:

أ) موقعها ب) مادتها ج) صيغتها د) نوعها

**أ- موقع الكلمة:**

عندما يتأمل القارئ للنص القرآني، ويتساءل عن سر تقديم كلمة على أخرى دون العناية بأنواع التقديم ولا مسمياتها، فهذه التفصيلات لا تعنينا هنا، فإنه بلا شك سيقف على كثير من الدلالات والأسرار.

ومثال ذلك: ﴿**وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾**﴾ [النور: ٤٥]، فيلحظ القارئ كيف قُدِّم ما يمشي على بطنه على ما يمشي على رجليه وعلى أربع، والسياق كما نرى لبيان قدرة الله في الخلق، كما يشير إلى ذلك ختام الآية، وعلى ذلك فالأدلُّ على قدرة الله والأعجب هو ما يمشي على أربع ؛ لأنه يتحرك وبسرعة فائقة أحياناً دون قوائم، ومثل ذلك كثير في القرآن يجل عن الحصر.

**ب- مادة الكلمة:**

لمادة الكلمة دلالة مهمة في تحديد المعنى المراد، فلا يمكن أن تقوم كلمة مقام كلمة في القرآن، فكلمة (خاشعة) ليست مثل كلمة (هامدة) في الدلالة المعجمية، فعندما يتساءل القارئ عن سر مجيء (هامدة) في قوله تعالى: ﴿**وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾**﴾ [الحج: ٥]، ومجيء (خاشعة) في قوله تعالى: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۚ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾**﴾ [فصلت: ٣٩]، مع أن نظم الآيتين متقارب، ويكاد يكون متشابهًا؟

فيمكنه بعد النظر والتأمل، والتبصر والتدبر أن يدرك الفرق في الدلالة بين مادتي الكلمتين، وإن تقاربا في المعنى ظاهراً، لكن لما كانت كل كلمة لها دلالتها الدقيقة الخاصة بها؛ جاءت كل منها في السياق الذي يتناسب مع مدلولها المعجمي، فسياق الموت في سورة الحج يناسبه كلمة تعبّر عن السكون الكامل الذي لا حركة معه ولا بعده، ولها علاقة بالموت، فجاءت كلمة (هامدة).

وأما سياق سورة فصلت؛ فكان عباديًّا، وفيه إشارة للصلاة خاصة، وهي التي يناسبها الخشوع ؛ لأنه من المفردات المرتبطة بها؛ لذا جاءت كلمة (خاشعة)، فعندما يكون المتدبر على علم بكيفية التعامل مع الكلمة القرآنية، ستكون علاقته بالنص القرآني أعمق وأقوى، والمعاني التي يتحصل عليها أكثر وأعظم.

**ج- صيغة الكلمة:**

عندما يكون المتأمل والمتدبر في النص القرآني قادرًا على استثمار دلالة الصيغة، سيدرك معانٍ وإشاراتٍ لم تكن له بالحسبان، ونقصد بالصيغة: اشتقاقات المادة الواحدة، مثل: أنواع الفعل (مضارع، ماضٍ، أمر)، ومثل: صيغ المشتقات (اسم فاعل، اسم مفعول، صفة مشبهة، صيغة مبالغة) وهكذا، وهذا قد يصعب على

العامة لكن كثير من المتعلمين يمكنهم إدراك ذلك.

وعليه فيمكن للمتدبر أن يتساءل عن مجيء الفعل بصيغة المبني للمجهول : (قيل) في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿١٣﴾﴾ [الحديد: ١٣]، ولعله يدرك بعد طول تأمل أن السياق في خطاب المنافقين يوم القيامة، فكان إخفاء ذكر الفاعل وعدم ذكره من دلالة الاستهانة بهؤلاء الهالكين ما ليس يخفى، فليسوا حقيقين بأن يُلفت إليهم، كما أن ضيق الوقت وصعوبة الموقف تقتضي الإيجاز.

كما لا يخفى على متدبر دلالة صيغة التصغير في كلمة (بني) في نداءات الأنبياء لأبنائهم، وما فيها من التودد والتحبب والقُرب.

**د- نوع الكلمة:**

ونقصد بنوع الكلمة هنا ما يمثّل نوعًا مختلفًا مثل: الاسم والفعل والحرف، فهذه الأنواع لكل منها خصائصه، فعندما يقرأ المتدبر قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَٰنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾﴾ [الملك: ١٩] لا شك أنه سيتوقف عند (صافات) و (يقبضن)، ويتساءل عن مجيء الأولى بالاسم، والأخرى بالفعل، وعند النظر والتأمل والبحث، ومحاولة الإجابة عن السؤال؛ سيدرك أن من خصائص الاسم الديمومة والثبوت، وأن من خصائص الفعل (المضارع) التجدد والاستمرار، عندها سيصل إلى معانٍ لطيفة لن تتحقق له لو نظر نظرًا عامًّا.

إنه سيدرك ما في ذلك من دلالة القدرة الربانية، فالصف وهو فرْد الأجنحة؛ هو الحالة الدائمة للطير، وهو في جو السماء؛ لذا جاء معه الاسم (صافات)، تسبقها وتعقبها الحالة المتجددة وهي القبض؛ لذا جاء معها الفعل المضارع (يقبضن)، ولا شك أن بقاء الطير دون تحريك أجنحته طائرًا في السماء؛ لهو قدرة ربانية عظيمة ؛ لذلك جاء ختام الآية: ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾.

**ثانيًا: التركيب**

من خلال التركيب ندرك علاقة الكلمات ببعضها، فيمكن للمتأمل والمتدبر أن يتساءل عن حذف كلمة أو حرف أو جملة، ويسعى لمعرفة سر ذلك، فإذا قرأ القارئ قوله تعالى في شأن اليهود: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾﴾ [البقرة: ٩١] نلحظ حيث طُوي ذكر القرآن، وكذلك ذكر اسم النبي محمد ﷺ ، فلم يكن: آمنوا بالقرآن المنزّل على محمد ؛ وذلك لما في ذكرهما من استثارة غضب المدعوين في هذه المرحلة، والمراد هو إقامة الحجة عليهم.

وعندما يتوقف القارئ عند قوله تعالى: ﴿بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ﴾ [ص: ٥١]، ويتساءل: لِمَ لمْ يوصف الشراب كما وُصفت الفاكهة، فلعله يصل إلى معانٍ منها: أنّ من أسباب التلذذ بالفاكهة هو كثرتها

وتنوعها، وأما الشراب فلذته أن يكون واحدًا، وإذا خُلط معه غيره فقَدَ اسمه وسُمي باسم جديد، وتحوّل إلى شراب واحد، والعادة في الأكل والتلذذ به أن يتناول الإنسان على طعامه شرابًا واحدًا؛ بخلاف الفاكهة فإن التلذّذ في تعددها.

ومن خلال التركيب يدرك المتأمل دلالة الذّكر المتمثل في صور كثيرة، مثل: التكرار، وتضمين الجواب بعض ألفاظ السؤال، والمسلّمات والبديهيات، وغير ذلك، فعندما يقف القارئ عند قوله تعالى: ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٢٦] ويتساءل قائلاً: معلوم أن السقف لا يخر إلا من فوق، فما فائدة ذكر قوله: ﴿من فوقهم﴾؟ ولعله بعد التأمل يُدرك أن في هذه البدهية والمسلمة إشارة إلى إحاطة ذلك السقف بالمعذبين، فعند خروره لم ينجُ منه أحد منهم.

**ثالثًا: الأسلوب**

تتنوع أساليب الكلام، وكل منها له دلالته، ومن تلك الأساليب: أسلوب الحصر والقصر، وأسلوب الفصْل والوصل، وأسلوب الاستفهام وأسلوب النفي، وأسلوب الأمر، وأسلوب النهي، وأسلوب النداء، وأسلوب التمني وهكذا.

فعندما يقرأ القارئ قوله تعالى: ﴿ **وَجَعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِهِۦۗ قُلْ تَمَتَّعُواْ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ ٣٠** ﴾ [إبراهيم: ٣٠]، وينظر في أسلوب الأمر فيها (تمتعوا) فإنه يقف ويتساءل، هل يأمر الله نبيه محمداً ﷺ بأن يأمرهم بمزيد من التمتع؟ كلا بل الأمر هنا للتهديد والوعيد، يقول الطبري :"قل يا محمد لهم: تمتعوا في الحياة الدنيا وعيداً من الله لهم، لا إباحة لهم التمتع بها، ولا أمراً على وجه العبادة، ولكن توبيخاً وتهدداً ووعيداً، وقد بَيَّن ذلك بقوله: ﴿فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾"(١).

وأسلوب النهي كقوله تعالى: ﴿ **لَا تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ ٦٦** ﴾ [التوبة: ٦٦]، فيس المراد نهيهم عن الاعتذار، بل المقصود تيئيسهم منه ؛ لعدم جدواه، بدليل: قد كفرتم بعد إيمانكم.

وعندما يقرأ القارئ قول تعالى: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ١٠** ﴾ [الصف: ١٠]، ويتأمل في أسلوب الاستفهام : ﴿هل أدلكم على تجارة...﴾؟ يدرك أن حقيقة السؤال غير مقصودة، فليس السؤال لطلب الإجابة، بل هو للحثّ والتشويق، يقول ابن عاشور :"العرض هنا كناية عن التشويق إلى الأمر المعروض، وهو دلالته إياهم على تجارة نافعة، وألفاظ الاستفهام تخرج عنه إلى معان كثيرة هي من ملازمات الاستفهام"(٢).

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن ١٦/ ١١.

(٢) التحرير والتنوير ٢٨/ ١٩٤.

**رابعًا: التصوير**

وأهم أدواته كما هو معلوم: التشبيه، والاستعارة، والكناية، وليس صعبًا على كثير من قارئي القرآن الوقوف على ذلك، حتى وإن جهل التقسيمات والتسميات والمصطلحات، فعندما يقرأ القارئ عند المنافقين: ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ﴾ [المنافقون: ٤] سيتوقف إن كان متدبراً عند تشبيه المنافقين بالخُشب، وسيهتم بسر التشبيه، لماذا هذا التشبيه؟ وهنا تأتي المعاني ومنها: أن الخشب عظيم في مظهره، ضعيف في مخبره، فهو سهل الكسر، ومنها: أن الخشب هنا مائل، وهذا دليل على انحرافهم، ويمكن التوقف أيضاً عند القيد ﴿مُسنّدة﴾، وهو مما يبحث في التركيب، لكنه هنا جزء من الصورة، وقد أشرنا إلى شيء من معناه وهو الانحراف، ويمكن الوقوف على معانٍ أخرى بحسب ما يبذل من جهد.

**خامساً: السياق**

والسياق هو: الغرض الذي تتابع الكلام لأجله، مدلولاً عليه بلفظ المتكلم، أو حاله، أو أحوال الكلام، أو المتكلم فيه، أو السامع"[١]، فلا بد من استحضار السياق السباقي و اللحاقي و كذلك السياق العام للسورة، عند النظر والتأمل في كتاب الله ﷻ ، فعلى ضوء ذلك يمكن إدراك كثير من المعاني، وتفسير كثير من الظواهر اللغوية الواردة في النص، كما رأينا ذلك جلياً في دلالة كلمة (هامدة، وخاشعة)، يقول ابن دقيق العيد عنه: "أما السياق والقرائن: فإنها الدالة على مراد المتكلم من كلامه وهي المرشدة إلى بيان المجملات وتعيين المحتملات فاضبط هذه القاعدة فإنها مفيدة في مواضع لا تحصى"[٢].

و لا نكاد نجد مفسراً إلا وقد اهتم بأمر السياق، يقول السعدي عن المطلوب في تفسير كلام الله ﷻ :"وكان الذي ينبغي في ذلك، أن يجعل المعنى هو المقصود، واللفظ وسيلة إليه. فينظر في سياق الكلام، وما سيق لأجله، ويقابل بينه وبين نظيره في موضع آخر؛ ويعرف أنه سيق لهداية الخلق كلهم، عالمهم و جاهلهم، حضريهم وبدويهم، فالنظر لسياق الآيات مع العلم بأحوال الرسول وسيرته مع أصحابه وأعدائه وقت نزوله، من أعظم ما يعين على معرفته وفهم المراد منه، خصوصا إذا انظم إلى ذلك معرفة علوم العربية على اختلاف أنواعها"[٣].

ثم يقول بعد ذلك مبينا ارتباط التدبر بما سبق ذكره : "فمن وُفِّق لذلك، لم يبق عليه إلا الإقبال على تدبره وتفهّمه وكثرة التفكر في ألفاظه ومعانيه ولوازمها، وما تتضمنه، وما تدل عليه منطوقاً ومفهوماً، فإذا بذل وسعه في ذلك، فالرب أكرم من عبده، فلا بد أن يفتح عليه من علومه أموراً لا تدخل تحت كسبه"[٤].

---

(١) دلالة السياق وأثرها في توجيه المتشابه اللفظي في قصة موسى عليه الصلاة والسلام: دراسة نظرية تطبيقية، فهد الشتوي (رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، كلية أصول الدين، ١٤٢٦ه، ٢٠٠٥م) ص ٢٧.

(٢) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، لابن دقيق العيد ص: ٢٧٨.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق ٣٠

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ٣٠.

وقد اعتمد المفسِّرون كثيراً على السياق في ترجيح رأي على آخر، ومن ذلك قول الأمين الشنقيطي: "قوله تعالى: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ ﴾ اعلم أولاً أن لفظة (لعل) تكون للترجي في المحبوب، وللإشفاق في المحذور، واستظهر أبو حيان في البحر المحيط أن (لعل) في قوله: هنا ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ﴾ للإشفاق عليه ﷺ أن يبخع نفسه لعدم إيمانهم به، وقال بعضهم: إن (لعل) في الآية للنهي...وأظهر هذه الأقوال عندي في معنى (لعل) أن المراد بها في الآية النهي عن الحزن عليهم، وإطلاق لعل مضمنة معنى النهي في مثل هذه الآية أسلوب عربي يدل عليه سياق الكلام"(١).

ومما هو مهم في تحديد السياق ومعرفته، العلم بأسباب النزول، فلا يمكن إدراك المراد بدقة في الآيات التي لها أسباب نزول، إلا بمعرفة سبب نزولها واستحضاره عند بيان المعاني والدلالات.

## سادساً: التناسب.

وهو علم لطيف مهم، ولا بد من العناية به؛ "لأن أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط"(٢)، وهناك ارتباط وثيق بين التدبر والنظر في المناسبات في النص القرآني، فمن الجوانب التي يحتاجها المتدبر لكتاب الله تعالى "تأمل المناسبات بين الآيات والسور، وما يخبئه ذلك التناسب من معاني رائعة وجميلة، تجعل القارئ أكثر إقبالاً على كتاب الله –تعالى–، وتعجباً من بديع معانيه ودلالاته، وحُسن سبكه وانتقاء ألفاظه"(٣).

واتصال التناسب بعلم البلاغة لا يخفى، فهو أحد صور تناسب الكلام مع مقتضى الحال، يقول البقاعي: "فعلم مناسبات القرآن علم تُعرف منه علل ترتيب أجزائه، وهو سر البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه من الحال"(٤)، ويؤكد ذلك الباحث الفريح بقوله في ختام بحثه حول التناسب: "ولعل الناظر إليه يلاحظ اعتماد البحث في كثير من أجزائه على التأمل والاستنباط، والربط المستمر بين الإعجاز والبلاغة ؛ لما بينهما من اتصال وثيق، وتماسك ظاهر"(٥) .

وللتناسب صور كثيرة، يمكن خلالها رسْم منهجية خاصة به، تُستثمر فيها أدوات البلاغة خير استثمار، ويستفيد منها المتدبر خير استفادة، فلو تحدثنا عن التناسب في سورة قرآنية لأمكننا النظر إليه من زوايا متعددة هي(٦):

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشنقيطي ١٩/ ٢١.

(٢) مفاتيح الغيب ١٠/ ١١٣.

(٣) الإعجاز في التناسب بين الآيات والسور وأثره في تدبر القرآن، د. أحمد الفريح، (المؤتمر الثالث – العلوم الإسلامية وقضايا الإعجاز في القرآن والسنة بين التراث والمعاصرة في الفترة من ١٤-١٤٢٨/٢/١٦هـ- كلية العلوم بجامعة المنيا) ص ٣.

(٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي /٦.

(٥) الإعجاز في التناسب بين الآيات والسور وأثره في تدبر القرآن ص ٣٣.

(٦) للباحث بحث تطبيقي في هذا المجال عنوانه: التناسب البلاغي في سورة الشمس مقبول للنشر في مجلة كلية الآداب، جامعة الملك سعود.

أ- التناسب بين السورة والتي قبلها.

ب- لتناسب بين اسم السورة وموضوعها.

ت- التناسب بين مطلع السورة ومقطعها.

ث- التناسب بين القصة والسورة.

ج- التناسب بين آيات السورة.

ح- التناسب بين المفردات والتراكيب في الآية وفي السورة.

خ- التناسب بين القسم والمقسم عليه.

وصور التناسب ومجالاته كثيرة كما رأينا، ومنها التناسب بين الجمل في الآية الواحدة، وفي ترتيب الكلمات، يقول الفخر الرازي في ملمح لطيف في هذا الشأن: "لا بدّ من رعاية التناسب بين الآيات، فأي مناسبة بين قوله: ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ (٢) ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ (٣) ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥) ﴾ [العلق: ٢ – ٥] فأجيب عنه بأن وجه المناسبة أنه تعالى ذكر أول حال الإنسان، وهو كونه علقة مع أنها أخس الأشياء، وآخر حاله وهي صيرورته عالماً، وهو أجلّ المراتب، كأنه تعالى قال: كنت أنت في أول حالك في تلك الدرجة التي هي غاية الخساسة، فصرتَ في آخر حالك في هذه الدرجة التي هي الغاية في الشرف"(١).

**سابعاً: القراءة في البلاغة التطبيقية القرآنية.**

وهذه الطريقة من أهم الطرق لتربية ذوق بلاغي عند المتلقي، ذلك أن المفسرين هم من قدّم التطبيق العملي للبلاغة، وربطوها بالنص القرآني، تقول الدكتورة أمل الخاقاني : "لقد تفوّقت رؤى المفسرين على الكثير من رؤى البلاغيين بالسبق الزمني أولاً، وبالإطار التطبيقي ثانياً ؛ إذ حقّقوا بلاغة النص تطبيقاً لا تنظيراً، حتى كانت تفسيراتهم تنبض بالكشف عن أسرار إعجاز هذا النص الخالد"(٢).

فإذا أراد المسلم أن يتدرّب على التدبر العملي فعليه بالقراءة المتأنية في التفاسير التي عُنيت بذلك، مع الإدراك بأن كل مفسر له منهجه العقدي الذي يؤثر على استنباطه واستنتاجه.

وهذا المنهج المقترح وجهة نظر يقدّمها الباحث، لا يُقصد به المتخصصون، بل عموم الأمة، ولعل النقاش والحوار يسهم في تجويده وإثرائه، وأما ما يَعني المتخصصين في هذا المجال فقد أوجزه الدكتور: محمد إقبال عروي في مجموعة من الآليات المنهجية لاستثمار الدرس البلاغي في تحليل النص القرآني ومن أهمها :

---

(١) مفاتيح الغيب ٢/ ١٧١.

(٢) ظواهر البيان العربي عند المفسرين من القرن الرابع حتى نهاية القرن السادس الهجري، أمل حسين حسن الخاقاني، (رسالة دكتوراة) (جامعة الكوفة، كلية التربية، ١٤٢٨ه، ٢٠٠٧م) ص٣٠٠.

- اعتماد أصول الفن البلاغي دون فروعه وتفريعاته .
- اعتبار الذوق والتلقي أساس الاستثمار البلاغي .
- تكاملية الدرس البلاغي مع غيره من الآليات والمناهج .
- الاحتكام إلى (المناسبة المقامية) في الاصطلاح البلاغي.
- نقد ثالوث البلاغة ونبذه.

وختم بالإشارة إلى أن هذه الآليات يُنتظر منها فتح حوار جادٍّ حول واقع الدراسات البلاغية العربية وآفاقها، وذلك كله بغية أن تظل البلاغة وصلة وذريعة إلى الكشف عن جماليات الخطاب القرآني وتأثيره في وجدان المتلقين"[1].

ونزيد على ما ذكره الدكتور عروي ما يأتي:

- ضرورة تربية الطلاب في مراحل التعليم على الاستنباط من الآيات، وذلك من خلال الأسئلة البلاغية، وهذا أمر يعرفه كل من جرّبه، وله فوائده الجمّة التي لا تُنكر، فمثلاً عندما يُسأل الطلاب عن سر تشبيه الموج بالجبال في قوله تعالى : ﴿ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [هود: ٤٢] سيجيبون بما أجاب به كبار المفسرين، وقد يضيفون معانٍ جميلة، ولفتات رائعة تدل على تفاعلهم مع النص القرآني، وانشغالهم به، وقد رأينا ما يؤيد ذلك في الواقع.

  ويمكن التدريب على ذلك من خلال بعض كتب التفسير التي تعتني بالأسئلة البلاغية مثل: الكشاف للزمخشري، ومفاتيح الغيب للفخر الرازي، وبدائع التفسير لابن القيم.
- العمل على إخراج الكتيبات والرسائل القصيرة، التي يسهل تداولها وقراءتها، بحيث تكون في متناول يد الخطيب وإمام المسجد لقراءتها على الناس.
- الاعتناء بالطريقة التي تُستثمر بها البلاغة، فلا ندعو إلى حشد المصطلحات وإشغال الناس بها، بل ندعو إلى الدخول مباشرة إلى روح البلاغة، والبحث عن المعاني العميقة، والدلالات اللطيفة التي يُساندها اللفظ والتركيب والسياق، فليس الأمر متروكًا للهوى أو الانطباع الذاتي المحض.

وأخيراً فإن الباحث يرى أن استثمار المنهج البلاغي في تدبر القرآن له جانبان إيجابيان، الأول: هو تقديم نموذج إجرائي للتدبر، يمكن للمتدبِّر من خلاله اتباع خطوات محددة للوصول إلى معان ودلالات مهمة في النص القرآني، والجانب الثاني هو بث روح جديدة في البلاغة العربية يجعلها الأداة الرئيسة للنظر في النص القرآني.

---

(١) آليات منهجية في استثمار الدرس البلاغي لتحليل النص القرآني (بحث ضمن ندوة النص القرآني) ملخصات الأوراق
http://www.alquran.ma/Article.aspx?C=5624

## الخاتمة:

وفي ختام هذا البحث يمكننا الخروج **بالنتائج والتوصيات** الآتية:

١- أن علم البلاغة علم مهم، يتجدد بوجود النص الرفيع؛ لذا لا بد من العناية به.

٢- أن أعظم أهداف علم البلاغة الكشف عن إعجاز القرآن البياني.

٣- أن علاقة البلاغة بالقرآن علاقة وثيقة، تبدأ بمنشئها وتتوثق به من خلال التفسير والتحدي والإعجاز والتدبر.

٤- أن الإعجاز البياني في القرآن من صور الإعجاز المجمع عليها التي ينبغي إبرازها للمتلقي

٥- أن مما حصل به التحدي في القرآن الإتيان بمثله في بلاغته وحُسن نظمه.

٦- أن علم البلاغة من أهم العلوم للمفسر.

٧- أن التفسير المعتمد على البلاغة أوقع في النفوس وأكثر تأثيراً في القلوب، وأعظم في إظهار شأن النص القرآني.

٨- أن تدبر القرآن يفضي الكشف عن إعجازه البياني الذي يدل على أنه من عند الله ؛ لذلك خوطب به غير المسلمين.

٩- أن البلاغة هي الأداة الأقوى للتدبر المنهجي.

١٠- اقتراح منهج تدبري فردي مستفاد من علوم البلاغة، يعتني بالأسرار والدلالات لا بالحدود التقسيمات والمصطلحات.

**التوصيات:**

١- ضرورة العناية بالبلاغة التطبيقية في البحوث والمؤلفات ودروس التفسير.

٢- العناية بتدريس البلاغة خارج الجامعات والمدارس لإحياء هذا العلم المهم في الأمة.

# فهرس المصادر والمراجع

## أولاً: الكتب:


١. الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، تحقيق:مركز الدراسات القرآنية (مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف).

٢. إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، لابن دقيق العيد ، تحقيق: مصطفى شيخ مصطفى و مدثر سندس (مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٦ هـ ، ٢٠٠٥ م).

٣. أحكام القرآن، للجصاص، تحقيق : محمد الصادق قمحاوي (دار إحياء التراث العربي، بيروت،١٤٠٥هـ).

٤. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشنقيطي (دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت ، ١٤١٥ هـ- ١٩٩٥م) .

٥. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي، تقديم: محمد المرعشلي (دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط١) .

٦. البرهان في علوم القرآن، للزركشي، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم (دار المعرفة، بيروت، ١٣٩١ه) .

٧. البيان العربي، د. بدوي طبانة (دار المنارة، جدة، دار الرفاعي، الرياض، ط٧، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م) .

٨. التحرير والتنوير، للطاهر ابن عاشور (الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م) ١/ ١٨.

٩. تفسير البحر المحيط، لأبي حيان، تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود وآخرين (دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت ، ١٤٢٢هـ ، ٢٠٠١م) .

١٠. تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) محمد رشيد بن علي رضا، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠ م).

١١. تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة (دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م).

١٢. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق (مؤسسة الرسالة، ط١ ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م) .

١٣. جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر (مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م) .

١٤. دلالة السياق وأثرها في توجيه المتشابه اللفظي في قصة موسى عليه الصلاة والسلام: دراسة نظرية تطبيقية، فهد الشتوي (رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، كلية أصول الدين، ١٤٢٦ه، ٢٠٠٥م)

١٥. روح المعاني، للألوسي (دار إحياء التراث العربي، بيروت) .

١٦. صحيح البخاري، للبخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر (دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ).
١٧. ظواهر البيان العربي عند المفسرين من القرن الرابع حتى نهاية القرن السادس الهجري، أمل حسين حسن الخاقاني، (رسالة دكتوراة) (جامعة الكوفة، كلية التربية، ١٤٢٨ه، ٢٠٠٧م) .
١٨. كتاب الصناعتين: الكتابة و الشعر، لأبي هلال العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم (المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م).
١٩. الكشاف، للزمخشري، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرين (العبيكان، الرياض، ط١، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م).
٢٠. مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس ابن تيمية، تحقيق: أنور الباز، عامر الجزار (دار الوفاء، ط٣، ١٤٢٦ هـ ، ٢٠٠٥م).
٢١. معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السَّلام محمد هَارُون (اتحاد الكتاب العرب، ١٤٢٣ هـ ، ٢٠٠٢م ).
٢٢. مفاتيح الغيب، للفخر الرازي (دار الكتب العلمية ، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ ، ٢٠٠٠ م).
٢٣. مفتاح العلوم، للسكاكي، تحقيق: نعيم زرزور (دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م).
٢٤. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، لابن القيم محمد بن أبي بكر (دار الكتب العلمية ، بيروت).
٢٥. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي (دار الكتاب الإسلامي، القاهرة).


## ثانياً: البحوث والمقالات


٢٦. أثر علم البلاغة في تفسير القرآن الكريم، د.محمود أحمد الزين (مقال في موقع)
http://www.dhifaaf.com/vb/showthread.php?t=6103
٢٧. الإعجاز في التناسب بين الآيات والسور وأثره في تدبر القرآن، د. أحمد الفريح، (المؤتمر الثالث – العلوم الإسلامية وقضايا الإعجاز في القرآن والسنة بين التراث والمعاصرة كلية العلوم بجامعة المنيا١٤٢٨هـ )
٢٨. آليات منهجية في استثمار الدرس البلاغي لتحليل النص القرآني (بحث ضمن ندوة النص القرآني) ملخص الأوراق على موقع مركز الدراسات القرآنية http://www.alquran.ma/Article.aspx?C=5624
٢٩. البلاغة والتفسير: مقدمة منهجية، د. عبد الجليل هنوش (ندوة النص القرآني) ملخص الأوراق على موقع مركز الدراسات القرآنية http://www.alquran.ma/Article.aspx?C=5624
٣٠. التناسب البلاغي في سورة الشمس، د. عويض العطوي مقبول للنشر في مجلة

كلية الآداب، جامعة الملك سعود.
٣١. ملخص أوراق الندوة على موقع مركز الدراسات الإسلامية:
http://www.alquran.ma/Article.aspx?C=5624